نشرية مصلحة الاتصالات الشمال إفريقية وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني

د./ أوعامري مصطفى*

تعتبر الوثائق المحفوظة في دور الأرشيف الفرنسية المختلفة (محفوظات الأرشيف الوطني بباريس، أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس، أرشيف قصر فانسان: المصالح التاريخية للجيش البري باريس ...) أو تلك الموجودة في الجزائر رغم قلتها" (الأرشيف الوطني بالعاصمة، محفوظات ولاية وهران، محفوظات ولاية قسنطينة) من أدوات البحث التاريخي الأساسية، و لا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية الاستغناء عنها، فالعمل الأكاديمي يفرض الرجوع إليها.

معظم المؤرخين و الباحثين الذين كتبوا في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية استقوا معلوماتهم من وثائق هذا الأرشيف. و تعد نشرية مصلحة الاتصالات الشمال افريقية إحدى هذه الوثائق.

أحاول في هذه الدراسة تسليط بعض الأضواء على هذه النشرية، من خلال التعرض في البداية إلى المصلحة التي كانت تشرف على إصدارها، وتوضيح مهامها مع محاولة إبراز أهمية النشرية في كتابة التاريخ الوطني.

نبذة عن مصلحة الاتصالات الشمال إفريقية:

* أستاذ محاضر ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان

ترجع جذور مصلحة الاتصالات الشمال افريقية إلى سنة 1935حينما أسس الحاكم العام لوبو LEBEAU "مركز الاستعلام و الدراسات" على اثر الأحداث الخطيرة التي وقعت في قسنطينة سنة 1934" – قتل بعض اليهود من طرف المسلمين –، وهي الأحداث التي كانت مفاجئة للسلطات المحلية، التي لاحظت بأنها كانت منشغلة بالمهام الإدارية، و لم تتابع عن قرب الحالة الذهنية للجماهير، و أن السلم الداخلي بالجزائر كان مهددا بانفجارات غير متوقعة.(01)

ومن أجل التغلب على هذه الوضعية، تم استدعاء ضباط متخصصين مع إعفائهم من كل عمل إداري بهدف التفرغ لمهمة الاستعلام فقط، و بعد ذلك و بالتدريج تم توظيف عدد من العناصر المدنية والعسكرية بهذا المركز، الذي أصبح يعرف بعد الحرب العالمية الثانية (1945) بمصلحة الاستعلام و التوثيق الإسلامية، ليتخذ تسمية مصلحة الاتصالات الشمال افريقية سنة 1947 أثناء إلحاقه بالديوان المدني للحاكم العام.(02)

و على المستوى المركزي، فإن مصلحة الاتصالات الشمال افريقية، اتسع دورها بعد تجريد الإدارة المركزية من كل إدارة متخصصة بالشؤون الإسلامية و أصبحت هي "فرع السياسة الإسلامية"للديوان المدني للحاكم العام.(03)

مهام عناصر المصلحة:

حسب تعليمة للحاكم العام ناجلان NAEGELEN موجهة إلى رؤساء العمالات الثلاث (الجزائر العاصمة، وهران،وقسنطينة) بتاريخ 29 أوت 1950، (04) فإن مهام عناصر هذه المصلحة المنتدبين في العمالات، قد تم تحديدها من خلال تعليمتين للحاكم العام لوبو LEBEAU كما يلي :"فهم يعملون بناء على توجيهات الحاكم العام، يمكن أن يتلقوا تعليمات من العمال– préfets– و هم مكلفون بانجاز كل المهام الموكلة لهم من قبل هؤلاء المسؤولين، يقومون بدراسة المشاكل المطروحة على مستوى العمالة دراسة تعتمد بالدرجة الأولى على تحليل المعلومات لتسهيل العمل الحكومي ....و عليهم أن لا يتدخلوا تحت أي ظرف في تسيير الحياة الإدارية.(05)

"عليهم أن ينزلوا إلى مختلف الشرائح الاجتماعية و يحتكوا بها... ليقوموا بعملية التصنت و الإصغاء... و مقارنة المعلومات التي يحصلون عليها... و محاولة التعرف على الحالة

الذهنية الحقيقية للجزائريين، و المطلوب منهم ليس تسجيل الحالة الظاهرة لهؤلاء و هؤلاء، و لكن من الضروري إدراك ما يكمن في النفوس حتى يتم التوصل إلى المعرفة المسبقة للتقلبات الممكنة، و عند الاقتضاء إدراك الفجوات في إجراءاتنا و نقاط الاحتكاك بيننا و بين الأهالي...و اكتشاف مؤشرات التذمر و تحديد مراكز أو موضوع الاستياء..."(06)

و لقد أكد نايجلان بأن هاتين التعليمتين مازالتا ساريتا المفعول، وذكر بمهام و مسؤولية مصلحة الاتصالات الشمال افريقية على مستوى العمالات والمتمثلة في المحافظة على الاتصالات المستمرة مع مختلف الشرائح الاجتماعية، و الاكتشاف المسبق في حدود الإمكان لمناطق وطبيعة الأحداث المتوقعة، تحديد أسباب الاستياء ،و إعلام السلطات المحلية في الوقت المناسب بذلك، و توجيهها في البحث و التحقيق، و تقديم اقتراحات للعمال- Préfets- عن الإجراءات الوقائية الممكن اتخاذها، و في حالة انفجار أحداث عليهم يقع تحديد الأسباب و اقتراح الحلول.(07)

ولضمان اتصال جيد و حيوي بين جميع الأجهزة، يجب عقد اجتماعات استعلام برئاسة العامل- Préfet- مع كل المتعاونين المباشرين، رؤساء الدوائر و الحكام الإداريين، فضلا عن تلك الاتصالات التي يقوم بها عناصر المصلحة أثناء جولاتهم مع رؤساء الدوائر، و رؤساء البلديات، و مع كل شخص محل ثقة، بغرض تسهيل مهمتهم و تقديم إيضاحات حول نقطة معينة، سواء كان هذا الشخص موظفا مدنيا أو عسكريا أو شخصا عاديا.(08)

و المعلومات و الاقتراحات التي يمكن الحصول عليها مباشرة بهذه الطريقة، تكمل تلك المرسلة عبر تقارير الموظفين المختلفة. و حسب الحاكم العام نايجلان فالقاعدة الأولى لعمل المصلحة على مستوى العمالة هي تعويض التقارير التي أصبحت تخنق المكاتب باتصالات شخصية. (09)

و الاستعلامات لم تكن مقتصرة على الجزائر فقط، بل عمدت الإدارة الاستعمارية إلى توسيع إطارها الجغرافي بحيث تشمل كل العالم العربي بل و الإسلامي، و بالنسبة لها " ليست هناك حدود بين أرض الإسلام ، فكرة تظهر في تونس تزرع في قسنطينة، حدث يقع في مدينة فاس تكون له انعكاسات بمدينة تلمسان، طريقة دعاية أو تحريض تظهر في مصر يمكن أن تستعمل في الجزائر..."و بالموازاة مع ذلك ضرورة الاستفادة من التدابير و الإجراءات

المستعملة. فكل إجراء اداري نجح في المغرب أو في القطاع الوهراني يمكن استعماله في القبائل أو الأوراس(10) أو أية منطقة أخرى.

ولحوصلة نشاطات عناصرها، و تعميم الاستفادة منها، فإن المصلحة كانت تشرف على تحرير نشريات على المستوى المركزي مثل النشرة السياسية"Bulletin Politique"، و نشرية الصحافة "Bulletin de Presse " و كانتا نصف شهريتين، و نشرية المسائل الإسلامية" Questions Islamiques " و هي شهرية. و على مستوى العمالات فإن كل عمالة كانت تصدر نشرية خاصة بها: واحدة خاصة بعمالة قسنطينة و الأخرى بعمالة الجزائر و الثالثة بعمالة وهران،وهي التي اخترناها كنموذج لهذه الدراسة.

التعريف بالنشرية:

هي نشرية شهرية مكتوبة بالآلة الراقنة باللغة الفرنسية، عدد أوراقها غير ثابت ما بين (10 – 20) وأحيانا أقل، عادة ما تكون مرفوقة بملاحق.(11)

والنشرية ليس لها غلاف ، صفحة الواجهة ورقة عادية يسجل في ركنها الشمالي الأيسر الجهة التي أصدرتها : عمالة وهران، وتحتها مكتوب الديوان، وتحت الديوان اسم المصلحة: مصلحة الاتصالات الشمال افريقية ، وأسفلها مسجل رقم النشرية، وتحت الرقم طابعها "سري" ثم عدد النسخة ، و يكتب في الجهة اليمنى وقريبا من الوسط: تقرير شهري حول نشاط المسلمين بعمالة وهران، مع ذكر الشهر و السنة ثم فهرس النشرية، و تسجل فيه العناصر الأساسية المعالجة مرقمة بالأرقام اللاتينية، مع ذكر الملاحق إن وجدت.

يبدأ الترقيم من الصفحة التي تلي صفحة الواجهة، و تسجل فيها نفس المعلومات السابقة باستثناء الفهرس. وعادة ما تستهل النشرية بتمهيد مختصر، ثم تتناول باقتضاب الحالة الذهنية للجزائريين في الريف و المدينة، و الأحداث الهامة التي تشد انتباههم، ثم تمثيل المسلمين في المجالس المنتخبة، و بعد ذلك تتعرض إلى نشاط الأحزاب و الجمعيات "حزب الشعب الجزائري، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، العلماء المصلحون، الحزب الشيوعي الجزائري، الأوساط التقليدية (الطرقيين)، و ترتيبها في الفهرس يختلف من فترة لأخرى، و نشاط الأحزاب هي عناصر ثابتة تتعرض لها كل النشريات، و تضاف معها العناصر الأخرى التي يمكن أن تشغل

الرأي العام الجزائري أو تؤثر فيه.مثل المسائل الاقتصادية، الدعاية الخارجية، النشاط الثقافي ، القضية الفلسطينية، و غيرها...

أهميتها في الكتابة التاريخية:

تتضمن نشرية مصلحة الاتصالات الشمال افريقية معلومات مركزة و متنوعة ذات قيمة إخبارية هامة عن أوضاع الجزائريين بالعمالة بصفة عامة، و عن الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها بصفة خاصة، كما أنها أحيانا تكون مدعمة بملاحق في شكل مقتطفات من جرائد الأحزاب، مناشير، تعليمات، نتائج للانتخابات، ... و غيرها من الوثائق الأخرى و كلها مفيدة في البحث التاريخي.

ويمكن استثمارها في تتبع تسلسل الأحداث،و ترتيبها من الناحية الكرونولوجية و هي من متطلبات المنهج التاريخي و تذلل كثيرا من الصعاب أمام الباحث، فضلا عن أهميتها في الدراسة المونوغرافية لتخصصها في تتبع نشاط المسلمين في منطقة محددة.

كما أنها تساهم في توجيه الباحث، فالمعلومات الواردة فيها يمكن توسيعها و التعمق فيها بالرجوع إلى تقارير الإدارة الاستعمارية المختلفة؛ من شرطة و درك و هيئات عسكرية و مدنية، و كلها تتناول أنشطة الجزائريين المختلفة بكثير من التفصيل، و تتبع تحركاتهم و تنقلاتهم و خاصة السياسيين و الوطنيين منهم.

و رغم هذه المزايا، فالمعلومات الواردة فيها يجب أن تؤخذ بتحفظ و حذر، خاصة فيما يتعلق بالاستنتاجات، و يجب مقارنتها بالشهادات الحية، أو بكتابة المؤرخين الذين تناولوا الفترة، وفضلا عن ذلك يجب أن تقرأ بعقلية جزائرية فمثلا (Partis Séparatistes) لا تقرأ أحزاب انفصالية بل أحزاب وطنية، (activités subversives) هي نشاطات تخريبية أو هدامة بالنسبة للإدارة الاستعمارية وللأوربيين، غير أنها تعد نشاطات وطنية بالنسبة للجزائريين.

نموذج من محتوى النشرية: نشرية ماي 1951:

PRÉFECTURE D'ORAN

Cabinet

Service des liaisons Nord-Africaines

N° 380

RAPPORT MENSUEL

SUR L'ACTIVITE MUSULMANE
DANS LE DEPARTEMENT D'ORAN
Mois de Mai 1951

SECRET

Exemplaire n° 11

SOMMAIRE

I. PREAMBULE.....Page 1
II. ETAT D'ESPRIT DES POPULATIONS.....1-2
III. LES ASSEMBLEES ELUES.....2-3-4-5
IV. POURPARLERS D'UNION ENTRE PARTIS SEPARATISTES 6
V. LE PARTI DU PEUPLE ALGERIEN (P.P.A) et le MOUVEMENT.....7-8-9
DU TRIOMPHE DES LIBERTES DEMOCRATIQUES (M.T.L.D).
VI. L'UNION DÉMOCRATIQUE DU MANIFESTE ALGÉRIEN.....9-10
VII. LES OULAMA REFORMISTES.....10-11
VIII. LE PARTI COMMUNISTE ALGÉRIEN (P.C.A).....11-12-13

IX. ACTIVITÉ SYNDICALES.....14-15-16
X. MILIEUX TRADITIONALISTES.....16-17
XI. QUESTIONS ISRAELITES.....17
XII. DIVERS.....
ANNEXE – N°1 – Tract du Parti Communiste Algérien "CHERIF DJAMAD AVAIT RAISON"

الهوامش :

*- نقل الجزء الأكبر من الأرشيف الجزائري إلى آكس – أون – بروفانس (Aix En Provence) بفرنسا بين 1961–1962 مما خلق نزاعاً أرشيفياً بين الجزائر وفرنسا حول 200 ألف علبة (600 طن) من الأرشيف العائد لفترة الاستعمار بين 1830–1962، و1500 علبة من الوثائق العائدة إلى الفترة العثمانية (بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر) التي سبقت الاجتياح الاستعماري : عبد الكريم بجاجة ، منهجية لوضع إدارة وطنية لإدارة الأرشيف: التجربة الجزائرية. www.alyseer.net

** وهي الأحداث التي وصفت بأنها معادية لليهود ضد السامية والتي حار في أسبابها المعلقون والمؤرخون، بعضهم ربطها بأحداث فلسطين، وآخرون ربطوها بتصاعد الحركة الوطنية وتحديها لكل ما هو فرنسي(وكان يهود الجزائر فرنسيين)،وذهب آخرون إلى أنها تعود إلى معاداة السامية المنتشرة عندئذ في أوربا،وهناك أيضا من أعادها إلى أسباب اقتصادية ... : أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945، الجزء الثالث، ط. الثالثة ، ش.و.ن.ت،الجزائر،1986، ص47.

لمزيد من الإطلاع حول هذه الأحداث انظر:

C.R Ageron, Une émeute anti- juive à Constantine (Août 1934) in Mélanges LE TOURNEAU , T1, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée , n°13-14, 1Sem.1973,PP.23-40

1- A.O.M,instruction de M. le Ministre , gouverneur général de l'Algérie, a M. les Préfets du29 Août 1950 :
Rôle et attributions des S.L.N.A. départementaux,
2- Ibid
3- Ibid
4- Ibid
5- Ibid30 جوان 1936. . تعليمة

6- Ibid . تعليمة" لوبو" في 3 سبتمبر 1939. يلاحظ أن هذه التعليمة تزامنت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية والتي كانت فرنسا أحد أطرافها لأساسية

7- Ibid A.O.M,instruction de M. le Ministre , gouverneur général de l'Algérie,
8- Ibid
9- Ibid

10- Ibid

11 -تصفح بعض الأعداد من النشرية :1947، 1948 ، 1949، 1951

هجمات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م

مجموعة مدينة بسكرة
– شهادات ووثائق–

لخضر بولطيف*

يكتسي التاريخ العياني لثورة نوفمبر أهمية بالغة؛ خاصة فيما إذا تعاضدت الشهادات والوثائق في تحديد معالمه ورسم صورته. وسنحاول من خلال هذا العرض إلقاء بعض الأضواء على العمليات المبكرة، التي آذنت باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، وذلك من خلال التركيز على الهجمات التي قامت بها مجموعة "مدينة بسكرة"، والتي طالت عددا من الأهداف الحيوية.

01 – الرواية التاريخية والصورة المفارقة للواقع:

من بين الإفادات التي يمكن الباحث مطالعتها بشأن هجمات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، والتي تتعلق بما جرى في مدينة بسكرة، ما جاء على لسان أحد الكاتبين في قوله: "انطلقتْ إلى مدينة بسكرة عدة أفواج بقيادة المجاهد البطل حسين برحايل، عبر غابات النخيل، قاصدين الأهداف المحددة للعمليات، ابتداء بالثكنة التي استطاعوا أن يحتلوها مدة ساعة تقريبا، ويمطروا عنابر الجنود فيها بالقنابل والرصاص، فاشتعلت النيران في بعض جوانبها، وفر كثير من الجنود الفرنسيين، وتشتتوا في شوارع المدينة، وما ردهم إلى الثكنة إلا صوت ذلك الرصاص والقنابل المدوية في كل من مقر الحاكم والشرطة والجندرمة، والنيران المشتعلة في محطة الكهرباء

* أستاذ مساعد قسم التاريخ – جامعة مسيلة